

شرح الأصول الثلاثة للشيخ حمد العتيق

أولاً: سبب تسمية الكتاب:

سماه المؤلف بهذا الاسم لأنه اشتمل على بيان الأصول الثلاثة التي يسأل عنها الإنسان في قبره، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، الذي رواه أحمد وغيره.

ثانياً: سبب تأليف الرسالة:

ألف المؤلف هذه الرسالة لبيان التوحيد والشرك، فركز على هذا الأصل في جميع أقسام الكتاب.

ثالثاً: أقسام الكتاب:

قسم المؤلف رحمه الله تعالى — كتابه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المقدمة: وجعلها في ثلاثة أجزاء، كل جزء يبدأ بقوله "اعلم". وهي تمهيد للدخول في الصلب.

القسم الثاني: صلب الكتاب ولبّ الكتاب: فذكر المؤلف فيه الأصول الثلاثة وهي "معرفة الرب والدين والنبي محمد صلى الله عليه وسلم".

القسم الثالث: الخاتمة: ذكر فيها المؤلف — رحمه الله تعالى — بعض المسائل المهمة المتعلقة بالتوحيد والاعتقاد، وابتدأها بقوله: والناس إذا ماتوا يبعثون".

شرح الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) قال رحمه الله: "اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل. الأولى؛ "العلم..... الخ

الشرح: قوله: "اعلم" إلى قوله: "قبل القول والعمل". هذا هو الجزء الأول من المقدمة ضمنه (المؤلف) أربع مسائل، كل مسألة يلزم منها ما بعدها.

الأولى: العلم، وهو معرفة الله ونبيه ودينه. وهذا هو العلم الشرعي، فالعلم إذا أطلق في الكتاب والسنة والمراد به العلم الشرعي.

ويلزم من العلم "العمل"، وهو المسألة الثانية. ويلزم من العمل "الدعوة إليه" وهي الثالثة. ويلزم من الدعوة "الصبر على الأذى فيها" وهي الرابعة.

ثم ذكر الدليل على هذه الأربع من سورة العصر. فقول الله: "إلا الذين آمنوا" يدل على العلم.

وقوله: "وعملوا الصالحات" يدل على العمل.

وقوله: "وتواصوا بالحق" يدل على الدعوة.

وقوله: "وتواصوا بالصبر" يدل على الصبر.

ثم ذكر - رحمه الله - كلام الشافعي (رحمه الله) بالمعنى، وقد نقله ابن كثير في تفسيره بلفظ: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم"، أي: لانتفعوا بها انتفاعا واسعا وعظيما. ثم ذكر كلام البخاري الذي يدل على تقديم العلم قبل العمل.

(٢) قال رحمه الله: "اعلم رحمك الله - أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل".

الشرح: قوله - رحمه الله تعالى - "اعلم رحمك الله" إلى قوله "إن حزب الله هم المفلحون". هذا هو الجزء الثاني من المقدمة، واشتمل على ثلاث مسائل، كل مسألة يلزم منها ما بعدها.

فالمسألة الأولى متعلقة بالربوبية، وهي أن الله خلقنا ورزقنا الخ.. وهذه هي أفعال الله الخاصة به، فمن آمن بذلك لزمته المسألة الثانية، وهي ألوهية الله تعالى أي: إفراده بالعبادة. ويلزم من الثانية؛ المسألة الثالثة وهي موالاة الموحدين والبراء من المشركين والكافرين.

والمخالفون في هذه المسائل أنواع: (أ) فمنهم من يخالف في الجميع (ب) ومنهم من يخالف في الثالثة مع موافقته في الأولى والثانية. ومنهم من يوافق في الأولى ويخالف في الثانية.

٣ - اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية.....

قوله رحمه الله تعالى: "اعلم أرشدك الله لطاعته..." إلى قوله: "واعبدوا ولا تشركوا به شيئا.."

هذا هو الجزء الثالث والأخير من المقدمة ضمّنه المؤلف عدة مسائل:

المسألة الأولى: معنى الحنيفية، وتقدم معناه في شرح القواعد الأربع.

المسألة الثانية: الحكمة من خلق الجن والإنس، وهي العبادة.

المسألة الثالثة: معنى العبادة: اختلف أهل العلم على قولين:

الأول: أن معناها أو أن معنى "يعبدون"، أي: "يوجدون"، وهذا الذي اختاره المؤلف.

الثاني: أن معنى "يعبدون"، أي: "لأمرهم وأنهاهم"، وهذا المعنى أوسع وأشمل، وهو الذي اختاره ابن تيمية رحمه الله تعالى.

المسألة التي تليها (الرابعة): أعظم ما أمر الله به: وهو التوحيد، وبَيّن المؤلف معناه أنه: "إفراد الله تعالى بالعبادة". واقتصر المؤلف على توحيد الألوهية ولم يذكر الأقسام لأنه المراد من هذه الرسالة.

المسألة الخامسة: أعظم ما نهى الله عنه، وهو الشرك، وعرفه بقوله: "وهو دعوة غيره معه"، أي صرف العبادة لغير الله. وقد اقتصّر المؤلف على الشرك في الألوهية لنفس السبب.

وبهذا يكون المؤلف قد انتهى من المقدمة، ويشرع في صلب الكتاب.

صلب الكتاب: بيان الأصول الثلاثة

قوله رحمه الله: "فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة؟"،

الشرح: هذا شروع من المؤلف في صلب الكتاب ولبّ الكتاب، فبدأ بذكرها إجمالاً ثم بالتفصيل. فبدأ بمعرفة العبد ربّه، وسلك في ذلك طريقة القرآن، وهي البداءة بتقرير الربوبية ثم انتقال إلى تقرير الألوهية. وذكر كلام ابن كثير رحمه الله، وهو: "أن الخالق لهذه الأشياء مستحق للعبادة".

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان معنى العبادة لأن الناس يحتاجون إلى التفصيل في ذلك، ولأن الإجمال في هذا الباب يوقع في المخالفات وهم لا يعملون.

وقد سلك رحمه الله في بيان معنى العبادة الإجمال ثم التفصيل. أما الإجمال فقد سرد أنواع البعادة سرداً، ثم بين وجوب أفراد الله بها، والدليل على ذلك.

ثم بين القاعدة العظيمة في ذلك، وهي قوله: "فمن صرف منها شيئاً لغير فهو مشرك كافر". وهذه القاعدة يعبر عنها بلفظ آخر وهو: "كل ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر".

ثم ذكر الدليل العام لهذه القاعدة، وهي قوله تعالى: "ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه..". وهذه الآية ذكر فيها الدعاء، والدعاء إذا أطلق فيشمل جميع أنواع العبادة.

أما البيان التفصيلي لمعنى البعادة: فهو بذكر كل نوع مع دليله الخاص به.

قاعدة مهمة: البعادات التي يتعبد بها لله تنقسم إلى قسمين:

(أ) الأول: التي لا تقع إلا تعبدًا، كالتوكل، والنذر، فهذا النوع ليس فيه تفصيل، فمن صرفه لغير الله فقد صرف العبادة لغير الله.

(ب) الثاني: البعادات التي تقع على وجهين:

الوجه الأول: أن تقع تعبدًا

الوجه الثاني: أن تقع على وجه غير التعبد، مثال ذلك الدعاء، والإستعانة، والإستعاذة، والخوف، والرجاء، والمحبة. وهذا القسم لا بد فيه من التفصيل، فنقول:

(أ) إن تضمن أمراً خاصاً بالله، فهو تعبد لا يجوز صرفه لغير الله، كمن يدعو الأموات الغائبين، لا بد أن يعتقد فيهم أموراً خاصة بالله، وهي: سماع الداعين وإجابتهم، وحصول المراد دون فعل السبب، وهو الذي يسمى عند بعض أهل العلم: "اعتقاد التصرف الخفي في الأموات".

(ب) وأما النوع الذي لا يكون تعبدًا فهو الذي لم يتضمن أمراً خاصاً بالله، كالخوف من أذى الجن أو السباع. وبهذا يكون المؤلف قد انتهى من الأصل الأول من صلب الكتاب.

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام

قوله رحمه الله: "الأصل الثاني"،

الشرح: ذكر فيه المؤلف معرفة العبد دينه، فبين معناه ومراتبه، وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

إشكال والجواب عنه: كيف يكون الإسلام مرتبة من الإسلام؟

الجواب: أن الإسلام له إطلاقان:

الأول: الإطلاق العام، والمراد به الدين كله. ويدخل في ذلك أعمال الجوارح والقلوب وإتقانها.

الثاني: الإطلاق الخاص، ويراد به أعمال الجوارح فقط.

ويدل لهذين الإطلاقين قول الله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام"، فهذا يدل على الإطلاق العام. ويدل للإطلاق الخاص حديث جبريل، وفيه: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة....." الخ.

فائدة: الإيمان — كالإسلام — له إطلاقان، الإطلاق الأول: العام، وهو الدين كله، ومنه حديث "شعب الإيمان".

الإطلاق الثاني: الإطلاق الخاص: والمراد به أعمال القلوب فقط، ويدل له أيضا حديث جبريل، وفيه: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه...." الخ

فائدة: يقول أهل العلم: "الإسلام والإيمان إذا اتفقا - أي في السياق - ، افترقا - أي في المعنى. وإذا افترقا - أي في السياق، اتفقا - أي في المعنى."

فإذا ذكر الإسلام لوحده والإيمان لوحده اتفقا في الدلالة على الدين كله، وإذا ذكرا جميعا دل كل واحد منهما على إطلاقه الخاص.

تنبيه: ذكر المؤلف أن المرتبة الثانية من مراتب الإسلام أنها الإيمان، ومعلوم أن المرتبة الثانية من الإسلام إنما المراد بها (الإيمان) بأعمال القلوب، وهي المرتبة الخاصة، لكن المؤلف خصل له سبق قلم، فعرفها بتعريف الإيمان بالإطلاق العام.

ثم ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - الإحسان والدليل على هذه المراتب الثلاثة. وبهذا يكون المؤلف قد انتهى من الأصل الثاني.

الأصل الثالث: معرفة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم" إلى قوله: "والدليل على موته - صلى الله عليه وسلم - قوله تعالى: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ".

الشرح: هذا هو الأصل الثالث والأخير من الأصول الثلاثة ومن صلب الكتاب، ذكر فيه المؤلف عدة مسائل متعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وما ذكره المؤلف رحمه الله من هذه المسائل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التي يجب على كل مسلم أن يعرفها، كاسم النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه بعث بالتوحيد وبالنهى عن الشرك.

القسم الثاني: المسائل التي يكون العلم بها من فروض الكفايات، كمعرفة نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وهجرته وموته (أي تاريخ موته)، وغير ذلك من المسائل.

وقد ركز المؤلف في هذا الأصل - كالأصول التي قبله - على بيان أهمية التوحيد وخطر الشرك.

الخاتمة

قوله رحمه الله: "والناس إذا ماتوا يبعثون" إلى آخر الرسالة....

هذه هي الخاتمة التي ختم بها المؤلف، وقد ضمنها عدة مسائل متعلقة بالإعتقاد والتوحيد مع أدلتها، ومنها البعث والحساب وحكم من كفر بها، والحكمة من إرسال الرسل، وهي الإيمان بالله والكفر بالطاغوت.

ثم بين معنى الطاغوت وبين رؤوسه، وذكر منهم "من حكم بغير ما أنزل الله". والحكم بغير ما أنزل الله عند أهل السنة قسمان:

(أ) القسم الأول: أن لا يكون كفرا: بأن يفعله هوى وشهوة مع إيمانه واعتقاده لحكم الله تعالى. فهذا ليس بكفر بل هو ظلم وفسق، كما قال تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون"، وقال: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون".

(ب) القسم الثاني: أن يكون كفرا بالله تعالى: كأن يرى حكمه أفضل من حكم الله أو مساويا له، أو أن ينكر حكم الله، أو أن يحكم بغير ما أنزل الله ثم يقول: "هذا حكم الله"، وهذا الذي يسمى "التبديل". أو يقول: "يجوز الحكم بغير ما أنزل الله"، وهذا الذي يسمى "الإستحلال". وفي هذا أنزل الله: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون".

ومن أراد التفصيل فعليه بكتاب "الحكم بغير ما أنزل الله" للشيخ بندر الحياتي، وقد له الشيخ محمد بن الحسن آل الشيخ، عضو اللجنة الدائمة وهيئة كبار العلماء في السعودية.

ثم ختم المؤلف بذكر الدليل على الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وبين أن هذا هو معنى "لا إله إلا الله"، لأنها اشتملت على نفي وإثبات. فالنفي هو الكفر بالطاغوت، والإثبات هو الإيمان بالله. وفي الحديث: "رأس الأمر الإسلام"، أي التوحيد.

وبهذا ينتهي الشرح.